حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يناير – مارس 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

تطور الإستراتيجيات الحربية لمغول فارس عقب معركة عيــن جالوت حتى نهاية عصر غازان
(664- 703هـ / 1265/ 1303م)

يوسف راشد رشدان المطيرى*

كلية دار العلوم – جامعة المنيا– دكتوراه التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
Y_almutairi@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/2/7
تاريخ قبول البحث: 2021/3/17
تاريخ النشر: 2023/3/31

المستخلص:

شكلت حملات المغول علي العالم الإسلامى ونشوء دولتهم الكبرى التي تضم الصين وإيران، وما بين النهرين وآسيا الصغري وشرق أوروبا واحدة من أهم حوادث التاريخ الإسلامى، فاجتاح المغول كل مراكز الحضارة الإسلامية ونهبوا وأحرقوا ودمروا الأخضر واليابس.

حتى جاءت نقطة التحول المفصلية فى تاريخ العالم الإسلامى وفى تاريخ المغول وهى معركة عين جالوت هذه المعركة التى مثلت اللحظة المفصلية والحاسمة، ولذلك فقد تغيرت الإستراتيجة المغولية عقب معركة عين جالوت تباينت بين الدبلوماسية حيناً وبين العدائية حيناً آخر، فبين محاولة التظاهر بالود وإرسال السفارت وبين الغارات التى اتخذت شكل الطابع الخاطف والموتور من هزيمة معركة عين جالوت، وبين محاولة البحث عن حليف يشاركهم الحنق على السلطنة المملوكية، وفى الواقع فإن المغول منذ موقعة عين جالوت لا يكفون عن التطلع الى فكرة الغزو العسكرى الى بلاد الشام والعودة اليها مرة أخرى وبذلوا محاولة تلو الأخرى من أجل تحقيق هذا الهدف، وحاولوا إشراك القوى الأوربية معهم فى حملة صليبية مغولية مشتركة ضد المماليك

على أية حال فإن هذه الدراسة تحاول مناقشة الإستراتيجيات الحربية لمغول فارس منذ عين جالوت وحتى معركة شقحب، هذه الإستراتيجيات التى تفاوتت بين العداء المباشر ومحاولة المهادنة والدبلوماسية وتكوين الأحلاف الدولية وصولاً للهزيمة المدوية مرة أخرى، وكيف أثبتت الدولة المملوكية أنها بالمرصاد لكل ممارسات المغول العسكرية والتآمرية على العالم الإسلامى.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

مدخل:

لم يكن المسلمون قد انتهوا من رد العدوان الصليبي عن أملاكهم شرقًا وغربًا، حتى فاجأهم إعصارٌ من الشرق، لم يكن أقل خطرًا من نظيره الصليبي، متمثلا في جحافل الدولة الجنكيزخانية وهي دولة المغول، وهى الدولة التى تنتمى إلى جنكيز خان التموجي [1]

وفى الواقع فإن حملات المغول علي مراكز الحضارة الإسلامية ونشوء دولتهم الكبرى التي تضم الصين وإيران، وما بين النهرين وآسيا الصغري وشرق أوروبا تعد واحدة من أهم حوادث التاريخ في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) لقد كان العنوان الأمثل للغزو المغول هو الاجتياح، هذا الاجتياح الذى لم يترك أمامه أخضر ولا يابس، و كان المغول اعصاراً كاسحا جرف كل ماصادف طريقه فأتوا على الأخضر واليابس فساد الدمار وعم الرعب والخراب كل مكان وطأت فيه جيوشهم التى قهرت كل الجيوش التى صادفتهم، وكانت السياسة الأبرز التى اعتمد عليها المغول فى كافة تحركاتهم هى سياسة الأرض المحترقة والقتل والدمار والحرق والتخريب، وبناءاً عليه فقد استطاعوا أن يجتاحوا فى فترة قصيرة رقع جغرافية كبرى وما صحب ذلك من عمليات قتل وتخريب لكبريات المدن.

حتى جاءت نقطة التحول المفصلية فى تاريخ العالم الإسلامى وفى تاريخ المغول وهى معركة عين جالوت658ه/1260م، هذه المعركة التى ضربت الكبرياء المغولى فى مقتل، لقد كانت معركة عين جالوت من المعارك الحاسمة وعلامة ناصعة البياض فى تاريخ المشرق الاسلامى في المنطقة إذ أنقذت مصر والشام من خطر دمار شديد وفي نفس الوقت كانت حائط صد أمام تطلعات المغول تجاه مصر وعملت على رفع الروح المعنوية للمسلمين، وحسب تعبير أحد كبار الأساتذة أن عين جالوت هى " إحدى الوقائع الهامة ليس في تاريخ مصر والشام فحسب ولا في تاريخ الأمم الإسلامية وحدها بل في تاريخ العالم بأسره ونحن لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أن هذه الموقعة تفوق في أهميتها كل الوقائع الحربية الحاسمة في العصور الحديثة لأنها لم تكن حرباً بين شعوب راقية متحضرة تحكمها قواعد وقوانىن متعارف عليها وإنما كانت حربا همجية وأن انتصار هذه القبائل المغولية معناه القضاء التام على حضارة العالم الشرقية منها والغربية ومن هذه الزاوية تكون موقعة عين جالوت قد تركت في تاريخ البشرية أثرة أشد وأقوى مما تركته كل هذه المعارك[2].

والسؤال الأبرز ماذا بعد عين جالوت ؟ هل إنتهى الخطر المغولى بهذه المعركة الأشهر، وكيف تغيرت إستراتيجيات المغول

يمكن القول أن الإستراتيجة المغولية عقب معركة عين جالوت تباينت بين الدبلوماسية حيناً وبين العدائية حيناً آخر، فبين محاولة التظاهر بالود وإرسال السفارت وبين الغارات التى اتخذت شكل الطابع الخاطف والموتور من هزيمة معركة عين جالوت، وبين محاولة البحث عن حليف يشاركهم الحنق على السلطنة المملوكية، وفى الواقع فإن المغول منذ موقعة عين جالوت لا يكفون عن التطلع الى فكرة الغزو العسكرى الى بلاد الشام والعودة اليها مرة أخرى وبذلوا محاولة تلو الأخرى من أجل تحقيق هذا الهدف، وحاولوا إشراك القوى الأوربية معهم فى حملة صليبية مغولية مشتركة ضد المماليك[3]، على الجانب الآخر فإن مسألة الاستعانة بالحلفاء كانت واردة أيضاً فى الفكر الصليبى بشكل كبير حيث فطن

الصليبيون أنهم لن يتمكنوا من تحقيق أهدافهم فى بلاد الشرق الإسلامى دون الاستعانة بحلفاء، وبذلك أكدوا على ضرورة التحالف مع المغول ودعوتهم إلى اعتناق المسيحية ونصح بالصبر عليهم وعدم وحسب بعض النصوص "أن التتار مهما بلغ بهم الزمن من أمد فلن يستطيعوا نسيان هزيمتهم القاسية على يد المصريين فى معركة عين جالوت ومهما مرت بهم السنوات فلن يتنازلوا عن إعادة أمجاد الخان[4] الأعظم جنكيز خان"[5]، وهم بذلك عندهم رغبة شديدة فى الانتقام من المسلمين عامة والمصريين خاصة، ولن يترددوا فى عقد التحالف مع الصليبيين طالما أن ذلك سوف يعود بالنفع على كلا الجانبين[6]. ولذلك فإن أبرز دعاة الحروب الصليبية المتأخرة حثوا الصليبيين على اكتساب صداقة المغول بالهدايا أولا حتى لو أدى الأمر إلى دفع الكثير من الأموال وإتباع ذلك بإرسال السفارات إليهم الأمر الذى سيؤدى فى نهاية الأمر إلى تحقيق الهدف المنشود[7] كما يجب على الصليبيين أيضاً أن يعملوا بقدر الإمكان على تنظيم قواتهم أثناء المعركة، وضرورة أن يتبع الصليبيون نفس أسلوب المغول فى تنظيم لقواتهم[8]

ومهما يكن من أمر فقد كانت هناك العديد من السفارات التي أرسلها مغول فارس إلى سلاطين المماليك فأرسل أبغا بسفارة سنة 664هـ/ 1265م إلى السلطان الظاهر بيبرس تحمل الهدايا وتطلب الصلح، إلا أن الظاهر بيبرس رفض الصلح[9]

ولم يلبث أن توفى هولاكو، ولكن لم تؤد وفاته إلى تهدئة الموقف بين المغول وسلطنة المماليك، فقد تولى الحكم ابنه أبغا (664- 681هـ / 1265-1282م) الذي أرسل السلطان الظاهر بيبرس في دمشق رسله سنة 665هـ/ 1266م برسالة مضمونها أن الملك لما خرج من الشرق ملك جميع البلاد ومن خالفه قتل وأنت – يقصد بيبرس- لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلص منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا، وأنت مملوك من سيواس". فكيف تشاقق ملوك الأرمن"[10].

ولكن أبغا كرر طلبه سنة 665هـ/ 1266م، ووسط هيثوم الأول Hethum I 1226-1270 ملك أرمينية الصغرى ولجأ إلى أسلوب يجمع بين التهديد والوعيد إلا أن بيبرس رفض أن يصالح من قتلوا المستعصم بالله خليفة المسلمين 656ه/1258م ــ إلا أن أبغا أرسل سفارة جديدة عام 670هـ/ 1271م باسم صمغار قائد المغول فى اسيا الصغرى ومعين الدين برواناه وكانا وسطاء لأبغا وبيبرس لتحقيق الصلح واستقبلها الظاهر بيبرس وأرسل في عودتها رسولين من قبله بالهدايا لأبغا وقواده، ولعب على أعصاب أبغا بأنه أعلمه أن منكوتمر ملك مغول القفجاق أرسل إليه ليكونا جبهة واحدة عليه فاعتبر أبغا ذلك تهديد ولم يتحقق الصلح[11]

وفى الواقع فإنه من عوامل عدم تحقيق الصلح أن مغول فارس شكوا بوجود اتصالات سرية بين السلطان الظاهر بيبرس ومعين الدين برواناه اذ حمل بيبرس سرا هدية الى معين الدين برواناه تمثلت فى قماش فاخر وهو مادفع أبغا بعد ذلك فى قتل معين الدين 1277م، كما أن بيبرس اشترط لتحقيق الصلح أن يعيد أبغا جميع أراضى المسلمين التى تحت يده، كما ان ابغا بعد مشاورة كبار قادته أرسل سفراء الى القاهرة 671ه/1272م لبدء المفاوضات فاقترح سفراءه أن

يذهب بيبرس بنفسه او من يليه الى مغول فارس لتوقيع الصلح فرفض بيبرس واشترط أن ياتى أبغا اة احد قادته الى القاهرة لتوقيع الصلح [12].

وكيفما كان الأمر وبشكل متخبط لا يليق مع أسلوب الحرب المنظمة نجد أنه فى سنة 670هـ/1271م تواترت الأخبار بهجوم المغول وعلى رأسهم أبغا على بلاد الشام فخرج بيبرس على رأس جنده إلى بلاد الشام، وبدأ يعد العدة لملاقاة المغول، فعقد مجلساً لجمع الأموال الازمة من المسلمين لإعداد العدة، لأن الأموال قد نفذت من الخزائن السلطانية، فأفتى الفقهاء والعلماء على جمع الأموال من المسلمين، إلا أن الشيخ النووى [13] رفض هذا الأمر وقال للسلطان دون خوف أو تردد " أنا أعرف أنك كنت فى الرق وليس لك من ذهب، وعندك مائتا جارية، ولكل جارية حق من الحلى، فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليك بالبنود والصوف بدلاً من الحوائص، وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى، افتيك بأخذ المال من الرعية " [14].

وعندما أعد الظاهر بيبرس عدته فر المغول من أمامه وهو ما يوضح أن الإستراتيجة المغولية صارت تعتمد أسلوب الغارات المتقطعة بدون خطط واضحة على أية حال فقد اتجه السلطان بيبرس عقب هذه الغارة الفاشلة إلى قيسارية فى الحادى عشر من ذى القعدة واستولى وهو فى طريقه إلى المدينة على عدة مدن وحصون، وما إن وصل قيسارية حتى خرج فى الخامس عشر من ذى القعدة أهالى قيسارية وعلمائها وزهادها وفقهائها لملاقاته، وارتفعت آياتهم بالشكر والتعظيم والتهليل تعظيماً للظاهر بيبرس [15]

المثير فى الأمر أن أبغا عاد مرة أخرى ليُظهر وجهاً آخر فعاود أبغا سنة 671هـ/ 1272م بإرساله سفارة يطلب فيها الصلح من السلطان الظاهر بيبرس واستقبلها استقبالا حسنا وإن كانت تحمل بعض الكبرياء والغطرسة حينما قال للسلطان " إن السلطان يمشي في الصلح أو من يكون بعده في النزلة " ولكن لم يعجب ذلك السلطان فرد عليه، أبغا إذا يقصد الصلح يمشي فيه بنفسه أو أحد أخوته ولم يوافق بيبرس على الصلح وردا على ذلك قام المغول بالهجوم على البيرة فتوجه بيبرس من دمشق الى القطيفة فوجد ان المغول قد غادروا فتابع سيره حتى حلب لاستطلاع أحوالها"[16]

على أية حال فإن الإستراتيجية المغولية المطاطة فى التعامل مع الدولة المملوكية لجأت إلى طرائق أخرى فى التعامل ومنها التآمر السياسى، حيث قدمت دعم واضح للمتمردين على السلطة المملوكية، أو بتعبير آخر أنه إستجاب لنداء الثائرين على قلاوون [17]،وربما كانت واقعة سنقر الأشقر أبرز هذه الوقائع، فبعد أن تولى المنصور قلاوون مقاليد السلطنة قام بالتوجه إلى بلاد الشام لتثبيت قواعد ملكه هناك، فقام بالقضاء على الخارجين عليه خاصة الأمير سنقر الأشقر الذى قلد نفسه أمور الملك فى بلاد الشام، ولقب بالسلطان الكامل سنقر الأشقر، وحسب بعض النصوص " أن هناك عملاً قام به قلاوون الألفي، فعندما تولى قلاوون السلطنة لم يوافق على ذلك سنقر الأشقر" [18] ويذكر ابن خلدون موقف سنقر الأشقر ويقول " أن شمس الدين سنقر الأشقر كان قلاوون قد ولاه نيابة دمشق وكانت تلك النيابة تمتد من العريش حتى الفرات وكان قلاوون قد أوصاه بالتعاون والالتئام في البلاد الشامية، وسرعان ما انقلب سنقر الأشقر عليه وأعلن عصيانه بمجرد سماع خبر جلوس قلاوون على العرش فاستدعى الأمراء وأشاع قتل قلاوون واستحلفهم وقام بحبس الذين رفضوا أن يحلفوا إليه، وتلقب بالكامل وقام بالقبض على نائب القلعة، هذا وقد هاجمت قوات المغول بلاد الشام فى جمادى الآخر

سنة 679هـ/1280م من ناحيتى الشمال والشرق، واشترك فى الهجوم ديمتريوس الثانى ملك الكرج 1259- 1289 Demetrius II مع قواته، واضطربت الأمور فى بلاد الشام وعزم سكانها على الرحيل منها إلى مصر[19]، ولكن فى النهاية فقد استطاع قلاوون أن يقضي على هذه الحركة ويثبت عرشه[20]، على أية حال فقد تم وأد حركة سنقر الأشقر على يد قوات السلطان المنصور قلاوون عام 679هـ / 1280م ومُنى بهزيمة نكراء، ففر سنقر الأشقر إلى شمال الشام مستنجداً بالمغول، فوصلت إليه القوات المغولية، واستولت على عدة حصون، ودخلوا حلب وأحرقوا جوامعها، وخوانقها، ومدارسها، فخرج قلاوون لملاقاتهم، ولكنهم عادوا مسرعين لبلادهم [21].

هذا وقد أدرك السلطان قلاوون أنه لابد له من ضمان حياد الصليبيين قبل الدخول فى حرب كبيرة ضد المغول تأميناً لخطوطه الخلفية، فأمر نائبه فى بلاد الشام بالإغارة على الإسبتارية فى حصن المرقب لاجبارهم على تجديد المعاهدة التى عُقدت فى عهد الظاهر بيبرس،وفى النهاية انتهت الأمور بتجديد الهدنة مع القوى الصليبية الرئيسية المتمثلة فى فرسان الداوية والاسبتارية وبوهيمند أمير طرابلس لمدة عشر سنوات[22] .

وبلهفة من يبحث عن الثأر وإستمراراً فى إستراتيجية البحث عن أى حليف سياسى أو عسكرى خرجت القوات المغولية مرة أخرى 680هـ / 1281م وعلى رأسها أبغا نفسه، وانضم إليه ليو الثالث ملك أرمنية Leo III، وكان جيش المماليك مرابطاً للمغول عند حمص، وكان السلطان قلاوون على رأس الجيش الإسلامى على أية حال فقد عبرت الجيوش المغولية نحو الفرات بقيادة منكوتمر بن هولاكو (أخو آباقا – أبغا)، وأصرت على حلب، وتقدم قلاوون بجيوشه حتى التقى بالمغول بالقرب من مدينة حمص عند قبر خالد بن الوليد، وهناك دارت موقعة كبيرة سنة 680هـ/ 1281 م عُرفت بمعركة حمص انتهت بهزيمة المغول وإنسحابهم إلى ضواحى الفرات، وأراد قلاوون أن يقضى عليهم قضاء مبرماً فأرسل عن طريق الحمام الزاجل إلى عماله وقواده عند الحدود الفراتية للوقوف فى وجه المغول الهاربين، كما أمر بأن تضرب النار بالأجمة والحشائش التى على الفرات، فاحترق من المغول خلق كبير، وعاد منكوتمر جريحاً حزيناً إلى بغداد حيث وبخه أخوه أبغا بقوله" لم لا مت أنت والجيش ولا انهزمت" [23].

والواقع أن واقعة حمص هذه كان لها أثر كبير فى تاريخ العلاقات بين المغول والمماليك، حيث أيقن المغول أنه لا قبل لهم بالمماليك ولو بعد حين. هذا وقد جاء هذا النصر فى وقت كانت فيه حركة الإتصال بين المغول والصليبيين لتكوين جبهه متحدة ضد مصر تسير سيراً حسناً، فلما قضى قلاوون على الخطر المغولى فى واقعة حمص زالت معه قيمة ذلك الحلف الصليبى المغولى.

ويبدو أن وجود أبغا لم يكن سيسمح بوجود مرونة فى العلاقات ولذلك تحسنت العلاقات بين المغول والمماليك بشكل واضح بعد وفاة أبغا 681هـ/ 1282م واعتناق خليفته توكدار الإسلام وسمى نفسه تكودار أحمد سلطان، فأرسل سفارته لتوحيد كلمة المسلمين[24]، ويبدو أن الأخير حاول إتباع إستراتيجية السلام وتقديم الذي أرسل إلى السلطان

المنصور قلاوون سنة 689هـ/ 1282م سفاره تحمل رسالة للسلطان يعلمه دخوله الإسلام وإن حراسه قبضوا على جاسوس من قبله في زي الفقراء ولم يقتله وأرسله إلى مصر على أمل ألا يرسل إليه جواسيس مرة أخرى[25].

على أن إنتشار الإسلام بين مغول فارس ولو بصفة مبدئية لم يكن معناه زوال ما بين الدولتين المغولية والمملوكية من عداء ومشاكل سياسية، كما أن وجود سلطان مسلم على العرش المغولى لم يحل دون الإستمرار فى السياسة العدائية نحو مصر على إعتبار أن هذه السياسة كانت تعد

أساساً تقليدياً للمحافظة على مصالح وأطماع دولة مغول فارس، والرسائل العدائية التى أرسلها تكوادر أحمد إلى السلطان قلاوون تدل على ذلك [26]

وفى واقع الأمر فإن السلطان أحمد لم يستطع القيام بأى نشاط عسكرى فى خارج مملكته بسبب الإضطرابات الداخلية التى عمت بلاده، ولهذا كانت سياسته نحو مصر سياسة سليمة هادئة، غير أن هذه السياسة السليمة التى سلكها السلطان أحمد مع المصريين والشاميين جعلت أمراء المغول يتهمونه بالتعاون مع المسلمين بسبب إسلامه فثاروا عليه، وانتهى الأمر بقتله وتولية إبن أخيه المسيحى أرغون بن آباقا سنة 683ه / 1284 م ومرة أخرى بتولي أرغون الحكم خلفًا لتوكدار تعود العلاقات لسابق عهدها من السوء والتوتر بين مغول فارس والمماليك، لقد أدرك أرغون أنه لابد له من الاستعانة بالقوى الأوربية المسيحية للقيام بعمل مشترك ضد المماليك بوصفهم حماة الإسلام والمسلمين فى هذا العصر، والثأر من هؤلاء المماليك الذين ألحقوا الهزائم المنكرة بالمغول فى المعارك السابقة، وقد توالت سفارات أرغون إلى الغرب الأوربى من أجل إعداد حملة صليبية مغولية مشتركة على بلاد الشام، وكان مشروعه يهدف إلأى قيام الغرب الأوربى بعملية إنزال صليبى فى عكا أو دمياط فى الوقت الذى يهاجم فيه هو بلاد الشام، وقد ذهب أرغون إلى حد إغراء القوى المسيحية فى الغرب الأوربى أنه سوف يُعمد فى القدس بمجرد الإستيلاء عليها، كما حاول أرغون أن يراسل الملك الفرنسى فيليب الجميل سنة 686هـ / 1287م، كما راسل إنجلترا واجتمع سفيره بالملك الإنجليزى ادوارد الأول فى ذات العام ولكنه رفض متحججا بانشغاله بالحرب مع اسكتلندا، وراسل أيضاً البابوية متمثلا فى هونوريوس الرابع، كما ارسل سفارة برئاسة الراهب رابان سوما أحد كبار رجال الكنيسة الكاثوليكية فى اسيا الى البابا هونوريوس الملك ادوارد الأول والملك الفرنسى فيليب الرابع ولكن توفى البابا هونوريوس فخلفه البابا نيثولا الرابع الذى اطلع على الرسالة ووافق على التعاون بشرط ان يتنصر أرغون ولم يبد ملكى انجلترا انجلترا وغرنسا اى استجابة فعليةولكن فى النهاية رفضت القوى الأوربية أن تلتزم الإشتراك فى حملة صليبية مع الجيش المغولى [27] وفى الأخير فإن أرغون لم يستطع هو الآخر القيام بأى عمل خطير ضد مصر والشام طوال عهد قلاوون [28].

تأتى نقطة التحول الكبرى فى تطور الإستراتيجية المغولية تجاه المماليك إبان عصر الخان المغولى غازان[29] ومن المثير أن غازان – قازان – بن أبغا بن هولاكو سلطان العراق المغولى قد أسلم وسمى نفسه " السلطان معز الدين محمود "، رغم ذلك فقد حاول أن يهدد ممتلكات الناصر محمد بن قلاوون[30] ولكن السلطان محمد بن قلاوون عاب عليه سوء مسلكه وأعلن استعداده للصلح[31].

على أية حال فلم تتوقف غارات غازان العسكرية ففى سنة 698ه/1298م استعدت العساكر الشامية لقتال المغول وقد ساءت حالتهم النفسية بشكل كبير حتى أن النص قد وصف هذه الحالة قائلاً "وداخلهم من الرعب والخوف أمر لا مزيد عليه"، ثم ورد عليهم الخبر أن ملك المغول غازان مسلم وأن غالب جيشه على ملة الإسلام وأنه لم يؤذِ أحداً "فسكن بذلك روع أهل دمشق قليلا، وتوجه بعضهم إلى مصر وبقى بعضهم في دمشق في حيرة لا يدرون عاقبة أمرهم، فطائفة تغلب عليهم الخوف وطائفة يترجون حقن الدماء وطائفة يترجون عدله وحسن سيرته" [32]، ولكن الناصر محمد بن قلاوون لم يكن مطمئناً إلى ممارسات غازان ولذلك كان على أهبة الإستعداد لأى تطورات قد تحدث وهو ما ذكرته المصادر عندما قالت " فقد استخدم السلطان الناصر محمد بن قلاوون جمعًا كثيرًا من الجند خوفًا من قدوم غازان إلى الديار المصرية وتهيأ السلطان إلى لقائه" [33]

وبالفعل فقد قاد غازان حملة مغولية على بلاد الشام سنة 699ه / 1299م، عندها شعر المسلمون بالخطر وتجلى دور الفقيه الإسلامى ابن تيمية فى هذه المرحلة حيث سار إلى مصر، واجتمع بأركان الدولة واستصرخهم وحثهم على الجهاد، حيث اجتمع ابن تيمية [34] مع ابن دقيق العيد والخليفة العباسى والأعيان وحثهم على الجهاد [35].

على أية حال فقد تواترت الأخبار بقوة عن قرب هجوم غازان على بلاد الشام[36]، وكان هذا يوم الأحد الموافق 17 من ربيع الأول عام 699هـ/ 1299م، وكان له أكبر الأثر في عدم استقرار الأمن ببلاد الشام، وانتشار الرعب والفزع بين أهل الشام فيقول ابن كثير عن هذا: "قد خاف الناس من ذلك خوفا شديداً، وجعل الناس من بلاد حلب وحماة وبلغ كرى الخيل من حماة إلى دمشق نحو المائتي درهم"[37]، وهو رقم كبير بمقياس هذا العصر، كما نزح الناس بكثرة إلى دمشق وسرعان ما انتقل هذا الفزع إلى مصر من خلال هؤلاء الشاميين النازحين لمصر الأمر الذي جعل الناصر محمد بن قلاوون والسلطة الحاكمة يسارعون بالمجئ إلى الشام باعتبارها خط الدفاع الأول عن مصر ولكي يعملوا على استقرار الأمور في مصر خوفًا من حدوث اضطرابات وقلق وفزع بين المصريين.

وكيفما كان الأمر فقد خرج السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى الخامس عشر من شهر صفر سنة 699هـ / 1299م قاصداً الشام لمهاجمة المغول، وخرج معه الإمام أحمد الحاكم بأمر الله الخليفة العباسى وقضاة مصر الأربعة، فجدوا فى السير حتى وصلوا فى الثامن من ربيع الأول دمشق[38]، وخرج مع السلطان إلى دمشق العديد من شيوخ الصوفية وعلى رأسهم الشيخ إبن دقيق العيد [39]، والشيخ الكردى الدمشقى [40]، والشيخ أبو الفضائل الحنفى [41]، والشيخ أبو قدامة المقدسى [42].

ولقد أرجع ابن إياس سبب حملة غازان على بلاد الشام إلى الأمير قفجق نائب الشام، الذي وصل لديه خبر بأن السلطان لاجين [43] أرسل بالقبض عليه فأسرع بالهروب هو وأهله وكان معه بعض الأمراء منهم الأمير بكتمر السلحدار والأمير فارس الدين البكي والأمير سيف الدين عزاز، وكان هذا ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الآخر 698هـ / 1299[44] إلى السلطان لأن التتري غازان، الذي استقبله وأحسن إليه، فما كان منه إلا أنه زين له الاستيلاء على بلاد الشام فيقول "

كان سببه مجئ غازان وزحفه على البلاد، وهو أن قفجق نائب الشام، لما بلغه أن الملك المنصور لاجين أرسل بالقبض عليه أخذ عياله وأولاده وبركه، وخرج من الشام هو وجماعة من الأمراء، وتوجه إلى عند غازان، فأقام عنده، وحسن له أن يزحف على البلاد، ويملك البلاد الشامية من غير مانع(45)

ولقد أوضح ابن إياس أن قفجق زين لغازان غزو بلاد الشام مستغلاً صغر سن السلطان الناصر محمد بن قلاوون، بعد أن اتفق الأمراء على توليته وهو ابن التسع سنوات، فوجد أن الفرصة جاءت لكي يحسن لغازان غزو الشام فيذكر ويقول " فإن السلطان صغير السن، والأمراء في خلاف بينهم، وأنه إذا زحف لم يجد من يقابله، فجمع غازان العساكر، فاجتمع معه من مائتي ألف مقاتل)(46)

ولو تأملنا هذا السبب الذي ذكره إبن إياس نجد أنه لم يكن كاف لكي يُسَيِّر غازان هذا العدد الكبير للاستيلاء على بلاد الشام من أجل تحسين قفجق له ذلك ويبدو أن غازان هذا كان يسعى للاستيلاء على الشام فعندما قدم إليه قفجق وأحسن إليه، فإذا بقفجق يريد أن يكافئه على حسن استقباله له، وخاصةً بعد مقتل المنصور لاجين وتولى الناصر محمد بن قلاوون السلطة

ولقد ذكر ابن تغري بردي سبب آخر أتى بغازان لبلاد الشام بالإضافة إلى السبب الذي ذكره ابن إياس وهو تحريض الأمير قفجق نائب الشام له، فيقول " أن غازان كان قد جهز سلامش بن اباجو بن منجو بن هولاكو في خمسة وعشرين الفاً من الفرسان إلى بلاد الروم، على أنه يأخذ بلاد الروم، ثم يتوجه غازان هو الآخر ينزل على الفرات ويغيرون على البيرة والرحبة وقلعة الروم، ويكون اجتماعهم على مدينة حلب فاتفق أن سلامس لما توجه من عند غازان ودخل إلى الروم أطمعته نفسه بالملك، وملك الروم وخلع طاعة غازان، واستخدم الجند وانفق عليهم وخلع على أكابر الأمراء ببلاد الروم، فأطاعه أهلها وكانوا فوق عشرة آلاف فارس. وهذا الخبر أرسله سلامش المذكور إلى مصر، وأرسل في ضمن ذلك يطلب من المصريين النجدة والمساعدة(47).

على أية حال فقد اتجه غازان بعد ذلك الموقف إلى بلاد الروم لمحاربة سلامش الذي تخلى عنه التركمان وهربوا إلى الجبال فلم يجد أمامه سوى الفرار إلى مصر فوصل إلى الشام فلقيه نائب الشام وأكرمه، ثم اتجه بعد ذلك إلى الديار المصرية، فرحب به الملك الناصر محمد وأحسن إليه(48).

ويبدو أن الناصر محمد بن قلاوون والأميرين بيبرس وسلار (49) عندما سمع خبر مجئ غازان إلى بلاد الشام أسرعوا بالمجئ إلى الشام، فيذكر ابن إياس " أن السلطان، جمع الأمراء وضرب مشورة، فوقع الاتفاق على أن الأتابكي بيبرس الجاشنكير يتوجه إلى حلب، قبل السلطان، فخرج الأتابكي بيبرس على جرائد الخيل، ومعه جماعة من العسكر "(50).

وربما هدف الأمراء بهذا أن يعملوا على استقرار الأمور في بلاد الشام وأن تطمئن الأهالي بها بقدوم الجيش المصري للتصدي للتتار، ويعمل السلطان والأمير سلار على تجهيز الجيش المصري لهذه المعركة.

ومن الواضح أن الظروف الاقتصادية في مصر لم تكن على ما يرام، لا تسمح بتجهيز وإعداد الجيش المصري للتصدي للمغول مما دفع بالسلطان للبحث عن ممول للجيش لكي يستطيع أن يتجهز به، فلم يجد هذا الوزير سوى أموال

اليتامى، وأموال الأسرى من أجل إعداد الجيش، ويصف ابن كثير ظروف تكوين الجيش المصري فيقول " وكان وقتاً شديداً، وحالاً صعباً، وامتلأ البلد من النازحين من بلادهم، وجلس الأعسر وزير الدولة، وطلب العمال، واقترضوا أموال الأيتام وأموال الأسرى لأجل تقوية الجيش[51]"

ومهما يكن من أمر فبعد أن عمل السلطان على تجهيز الجيش في ظل ظروف اقتصادية صعبة خرج في 15 صفر 699هـ / 1299م وأخذ معه الإمام أحمد الحاكم بأمر الله والقضاه الأربعة، وسائر الأمراء والعسكر [52].

وفي يوم الجمعة ثامن ربيع الأول 699هـ/1299م دخل السلطان إلى دمشق وكان الجو شديد المطر، وكان يوجد وحلٌ كثير، ورغم ذلك خرج أهل الشام لاستقبال السلطان المملوكي ومعه الجيش المصري الذي سرعان ما انضم إليه الكثير من أهل الشام من أجل التصدي للتتار والانتصار عليهم، فلقد ذكر ابن كثير أنه " يوم الأحد، سابع عشر ربيع الأول، ولم يتخلف أحد من الجيوش، وخرج معهم خلق كثير من المتطوعة، وأخذ الناس في الدعاء، والقنوت في الصلوات، بالجامع وغيره، وتضرعوا واستغاثوا، وابتهلوا إلى الله بالأدعية [53]

أما عن أحداث المعركة فيذكر ابن كثير ويقول " لما وصل الأمير إلى وادي الخزاندار عند واد سليمة بالقرب من بعلبك فالتقى التتر هناك يوم الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول لسنة 699 هـ / 1299م [54]، فالتقوا معهم فكان بينهما هناك وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها فيما تقدم[55].

ولقد تناول ابن تغري بردي أحداث المعركة بشيء من التفصيل وعبر عنها قائلاً " فلقد ذكر أن مسيرة المسلمين قد حملت على ميمنة التتار فكسرتهم أقبح كسرة، وقتلوا منهم نحو خمسة آلاف أو أكثر. ولم يقتل من المسلمين إلا اليسير ثم حمل القلب أيضاً حملة هائلة وصدمت العدو أعظم صدمة، وثبت كل من الفريقين ثباتاً عظيماً، ثم حصل تخاذل في عسكر الإسلام بعضهم في بعض، فانهزمت ميمنة السلطان بعد أن كان لاح لهم النصر، ولما انهزمت الميمنة وانهزم أيضاً من كان وراء السناجق السلطانية[56] من غير قتال. فانهزم جميع عساكر الإسلام بعد النصر، وساق السلطان في طائفة يسيره من أمرائه ومدبري مملكته نحو بعلبك وتركوا جميع الأثقال ملقاة فبقيت العدد والسلاح والغنائم والأثقال ملأت تلك الأراضي[57]

في حين ذكر ابن كثير عندما كسر عسكر المسلمين وولى السلطان هارباً، وقتل جماعة من الأمراء وغيرهم، ومن العوام خلقٌ كثيرٌ، وفقد في المعركة قاضي قضاة الحنفية، وقد صبروا وأبلوا بلاء حسناً[58]

وبذلك تلقَّى المسلمين هزيمة قاسية جعلت كل جندي من المسلمين يلوذ بنفسه هرباً من جيش المغول لا يعبأ بأخيه متجهين إما نحو الشام وإما نحو مصر، فيقول ابن كثير " فولى المسلمون لا يلوي أحد على أحد، غير أنه رجعت العساكر على أعقابها للديار المصرية، وأجتاز كثير منهم على دمشق، وأهل دمشق في خوفاً شديداً على أنفسهم وأهليهم وأموالهم[59]

وبالفعل قام غازان بالهجوم على بلاد الشام الذي كان قد نهب بلد الصالحية بظاهر دمشق وأخذ منها أشياء كثيرة من الغلات، وخرجوا أماكن كثير، ولم يكتفي بذلك فلقد عمل على أخذ ما تيسر له من هذه البلاد، وذكرت بعض المصادر بأنه أخذ من أهل دمشق عشرة الآف فرس كذلك قرر الكثير من الاتاوات على البلاد وأهل الأسواق، كل سوق بحسبة من المال، ثم توجه غازان لبلاده لكنه ترك جيش يتكون من عشرين ألف مقاتلٍ"[60]

وكان لاستيلاء المغول على بلاد الشام أكبر الأثر في انتشار الفوضى وعدم الاستقرار وانعدام الأمن فيذكر ابن كثير ذلك ويقول " وفي لية الأحد ثاني ربيع الأول كسر المحبوسون بحبس باب الصغير الحبس، وخرجوا منه على حميه، وتفرقوا في البلد، وكانوا قريباً من مائتي رجل، فنهبوا ما قدروا عليه، فكسروا أقفال الباب البراني وخرجوا منه إلى البلد، فتفرقوا حيث شاءوا لا يقدر أحد على ردهم وعاثت الحرافشة في ظاهر البلد "[61]

هذا وقد تمت الخطبة لغازان على المنابر في دمشق يوم الجمعة 14 ربيع الآخر 699هـ/1299م ثم قامت قوات المغول بعد ذلك في منتصف شهر ربيع الآخر في نهب الصالحية وكان معهم صاحب سيس ويذكر ابن كثير أنهم وجدوا فيها شيئاً كثير من الغلات وقلعوا الأبواب والشبابيك [62].

وخربوا الأماكن الكثيرة كالرباط الناصري وغيره من الأماكن الحسنة والمارستان بالصالحية ومسجد الأسدية، ومسجد خاتون ودار الحديث الأشرفية بها واحترق جامع النوبة بالعقيبة، وكان هذا من جهة الكرج، والأرمن من النصارى الذين هم مع المغول، وسبوا من أهلها خلقاً كثيراً، وجمعاً غفيراً، وجاء اكثر الناس إلى رباط الحنابلة، فاحتاطت به المغول، ثم أقحموا عليه فسبوا منه خلقاً كثيراً من بنات المشايخ وأولادهم[63]"

كما قام المغول بحرق دار الحديث الأشرفية وغير ذلك، وأحرق دار السعادة ونتيجة لتلك الأفعال التي قام بها المغول لزم الناس منازلهم ويصف ابن كثير ذلك ويقول كانت الطرقات لا يرى بها أحد إلا القليل، والجامع لا يصلي فيه أحد إلا اليسير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلا بجهد جهيد، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيهم ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله، ولم يكتفِ التتر بذلك فقاموا بالمصادارات والتراسيم[64] والعقوبات عمالة في أكابر أهل البلد ليلاً ونهاراً حتى أخذ منهم شيء كثير من الأموال والأوقاف[65]"، وبرغم الإنتصار الكبير الذى حققه غازان على المماليك إلا أن النتائج العسكرية لذلك الإنتصار كانت قليلة الأهمية فلم يترتب عليه احتلال المغول لأى من المدن الشامية احتلالاً دائماً، فقد كان غازان مضطراً للعودة بسرعة إلى بلاده لاعتلال صحته ولمواجهة الأخطار المُحدقة بعرشه [66].

وفي يوم الجمعة التاسع عشر جماد الأول 699هـ/ 1299م توجه السلطان غازان وترك نوابه بالشام في ستين ألف مقاتل، في حين ذكر السكندري " أنه ترك جيش يتكون من عشرين ألف مقاتل " وكان على رأسهم بهاء الدين قطلوشاه نائبه[67]

ولكن رغم كل هذه النتائج السيئة المترتبة على هزيمة الجيش المصري إلا أن السلطان المملوكي ومدبري مملكته الأميرين بيبرس وسلار لم ييأسوا فإذا بهم يعملون جاهدين على إعادة بناء الجيش المصري من جديد، لكي يمحو تلك الهزيمة القاسية فيذكر ابن إياس " فعندما عاد السلطان الناصر محمد بن قلاوون طلع إلى القلعة، وفتح الزردخاناه، وفرق

ما فيها من لبوس وخوذ وسيوف، ثم فتح خزائن المال، وأنفق على العسكر، فأعطى كل مملوك ثمانين ديناراً، وأعطى جماعة منهم سبعين ديناراً، وأعطى جماعة خمسين ديناراً[68].

ولم يكتفي السلطان الناصر محمد بتوزيع النفقة على عسكر مصر فقط فإذ به يقوم بتوزيع النفقة على عسكر الشام والذين قدموا معه فيذكر ابن إياس أنه انفق على عسكر الشام الذين حضروا صحبته، فأعطى لكل واحد منهم عشرة دنانير ذهب، وعشرة أرادب شعير، وعشرة أرادب قمح، ثم أنفق على الأمراء المقدمين، والأمراء الطبلخانات، والأمراء العشراوات، فأعطى كل واحد على قدر مقامه وكان القائم بتدبير ملكه الأمير سلار، نائب السلطنة [69]، والأتابكي بيبرس الجاشنكير[70]

ومع توافر تلك النفقة بهذا الوقت، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه كيف استطاع الناصر محمد والسلطة الحاكمة في مصر بالقيام بتوفير تلك النفقة اللازمة للجنود المصريين والشاميين من أجل إعادة بناء الجيش مرة ثانية خاصة أنهم عانوا في توفير تلك النفقة عند خروجهم لأول مرة فقد اقترضوا أموال الأيتام والأسرى لذلك الأمر، ويبدو أن السلطان لجأ للشعب المصري الذي أسرع في توفير تلك النفقة وما يلزم الجيش من أجل الثأر لهزيمتهم من المغول [71].

وبهذا يكون الأميران بيبرس وسلار هم الذين قاموا بعمل تلك النفقة وتوزيعها من أجل إعادة تجهيز الجيش مرة ثانية من أجل محاربة غازان وبالفعل ما هي إلا فترة وجيزة كان الأميران بيبرس وسلار ومن ورائهما السلطان المملوكي الناصر محمد أعادوا بناء وهيكلة الجيش المصري للتصدي لغازان وبعد أن جهز السلطان الأميران الجيش خرج السلطان في تاسع شهر رجب من سنة تسع وتسعين وستمائة، وصار حتى تنزل بمنزله بالصالحية بلغه عودة غازان بعساكر إلى بلاده فعاد الناصر أيضاً إلى مصر[72] حتى جاءت الأخبار إليهم بوصول القان غازان بنفسه، قد وصل إلى الرحبة، فنزل إليه نائب الرحبة، وأرسل إليه الإقامات فمنع المحاصرة عن المدينة[73]

فعندما وصلت تلك الأخبار للأميران بيبرس وسلار، فما كان منهم إلا أنهم تشاوروا في أمر غازان، فأشاروا على السلطان بالخروج قبل أن يتمكن العدو من البلاد[74]، ثم بعد ذلك في 18 ذي الحجة من 699هـ /1299م أرسل غازان بطلب الصلح من الناصر محمد بن قلاوون ولكن كانت هذه مكيدة من غازان ولكن الناصر محمد لم يكن مطمئناً لها فلم يهتم بها[75] ولكن روايات أخرى تذكر أن غازان قد زحف على ضياع الشام ونهب ما فيها وسبى أهلها، فخرج إليه علماء دمشق وزهادها ومشايخها، وطلبوا منه الأمان، فآمنهم لما أبداه من مكانة متميزة لعلماء الدين عنده، خاصة وأنه قد أسلم على يد شيخ الشيوخ ابراهيم بن حموية [76].

على أية حال فقد دارت عدة أحداث بين الطرفين انتهت بوقوع معركة حاسمة بين جيش المسلمين والمغول وهي معركة شقحب 702هـ / 1301م.

معركة شقحب مرج صفر(702 هـ / 1303م)

في 18 شعبان 702 هـ / 1303م وصلت مجموعة من الجيش المصري تتكون من عشرة آلاف فارس إلى بلاد الشام وكانت بقيادة الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، والأمير حسام الدين لاجين وآخرون ثم تبعه مجموعة أخرى بقيادة بدر الدين أمير سلاح مما كان له أكبر الأثر على نشر الطمأنينة على الناس في الشام [77]

وفى ذلك الوقت كانت طلائع الجيش المغولى قد قدمت إلى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك الأراضي فساداً. وقلق الناس قلقاً عظيماً، وخافوا خوفاً شديداً، كما يقول ابن كثير، وكان هذا نظراً لتأخر السلطان ببقية الجيش المصري وقال الناس لا طاقة لجيش الشام مع هؤلاء المصريين بلقاء التتر لكثرتهم، وإنما سبيلهم أن يتأخروا عنهم مرحلة مرحلة، وتحدث الناس بالأراجيف، فاجتمع الأمراء يوم الأحد بالميدان، وتحالفوا على لقاء العدو، وشجعوا أنفسهم، ونودي بالبلد أن لا يرحل أحد منها، فسكن الناس، وجلس القضاة بالجامع، وحلفوا جماعة من الفقهاء والعامة على القتال[78] بعد أن كان هناك من دعاة الهزيمة ينشرون الفزع بين الناس ونجح العلماء والأمراء على أن يتحالفوا على أن يلاقوا العدو[79].

وفي يوم السبت 2 رمضان 702ه/ 1301م اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية مع السلطان في مرج الصفر[80]

وفي تلك الظروف جاءت الأخبار بوصول المغول في خمسين ألف مع قطلوشاه نائب غازان، فلبس العسكر بأجمعه السلاح[81]

ولقد أخذ ابن تغري بردي في وصف الجيش المصري في أرض المعركة فذكر أن السلطان كان واقف في القلب وبجانبه الخليفة، والأمير سلار النائب، والأمير بيبرس الجاشنكير وغيرهم[82].

ورغم استشهاد جماعة من كبار الأمراء في تلك المعركة، إلا أن المسلمين نجحوا في تحقيق انتصار عظيم، مما جعل المغول يهربون إلى التلال والجبال، ورغم ذلك لم يتركهم عسكر المسلمين، فإذا بهم يحاصرونهم ويرمونهم بالسهام، وأخذوا يضربون أعناقهم، فلم ينج منهم إلا القليل[83].

ويستمر ابن تغرى بردى فى وصف المعركة، وكيف استطاع الجيش المصري انزال الهزيمة الساحقة بالمغول كذلك أخذ يصف الدور العظيم الذي قام به كل من بيبرس وسلار في تلك المعركة فقال " وأبلي سلار في ذلك اليوم هو بيبرس الجاشنكير بلاء حسناً، وسلموا نفوسهم إلى الموت. فلما رأى باقي الأمراء منهم ذلك ألقوا نفوسهم إلى الموت، واقتحموا القتال وكانت لسلار والجاشنكير في ذلك اليوم اليد البيضاء على المسلمين واستمروا في القتال إلى أن كشفوا المغول عن المسلمين[84]

وبعد أن حقق المسلمين هذا النصر العظيم الذي قال فيه الذهبي المؤرخ " فوالله ما ذقنا أحلى منه[85] وبعد أن نجح الجيش المصري في تحقيق هذا الانتصار الساحق على المغول قام السلطان بكتابة الكتب بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار، ولقد عاد السلطان بعد ذلك إلى دمشق يوم الثلاثاء في الخامس من رمضان 702هـ / 1302م وكان معه الخليفة وزينت البلد وفرح كل واحد ونزل السلطان في القصر الأبلق والميدان ثم تحول إلى القلعة يوم الخميس وصلى بها الجمعة وخلع على نواب البلاد وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم واستقرت الخواطر وذهب اليأس وطابت قلوب الناس[86].

هذا وقد ذكرت بعض الدراسات بأن هذه المعركة كانت الهزيمة الثانية الساحقة للمغول، ولقد أدت إلى قتل الكثير من المغول، مما جعلتهم بعد ذلك يجنحوا إلى السلم ولم يفكروا ثانية في محاربة العالم الإسلامي، ولقد حملت هذه المعركة نفس صدى معركة عين جالوت[87]

لقد كان لانتصار الجيش المصري في هذه المعركة أكبر الأثر في نفوس بلاد الشام والمصريين ولقد أشاد بهذا النصر جميع مؤرخي العصر وارتفع شأن السلطان محمد وذاع سيطة حتى ملوك اوروبا نظروا اليه نظرة تقدير واحترام ولكن حاول الهمذاني أن يقلل من هذا الانتصار العظيم وقال أن ميسرة الجيش المغولي انتصرت على ميمنة الجيش المصري وقتل منهم نحو ثلاثة عشر أميراً وقُتِل منهم جمع غفير وأن المصريين انتصروا فقط على ميمنة الجيش المغولي وأرجع سبب انتصار المصرين ليس لتفوق المصريين ومهارتهم وحسن تنظيمهم ولكن أرجعه إلى أن ميمنة الجيش المغولي كانت منعزلة ووحيدة وأنهم تقهقروا بسبب قلة عددهم وكذلك اشتد الظمأ بالناس والدواب[88] في حين ذكرت بعض الدراسات أن عدد المغول في هذه المعركة كان نحو مائة ألف مقاتلٍ بقيادة قطوشاه بعد أن تركها غازان وتذكر أن جيش الناصر قضى على جميع جنود المغول في بلاد الشام[89] .

كذلك من نتائج هذه المعركة أيضاً أن غازان حاكم مغول فارس عندما جاءته أخبار تلك الهزيمة مرض حيث اغتم واكتئب وأخرج من أنفه دم كثير حتى أشفى على الموت واحتجب عن حواشيه وكانت ايذانا بأفول نجم غازان وكثرة المؤمرات والدسائس عليه من قبل أمراء المغول لخلعة ونقم الشعب عليه لانه جرهم الى هذه الهزيمة المروعة و لهول الصدمة عليه وعظم الهزيمة الساحقة على جيشه الذي لم ينجوا منه سوى العشر فقط، وبهذا يكون قد فقد تسعة أعشار جيشه الذي كان قد انتخبهم من خيار جيشه على قول ابن تغري بردي[90]واقترح غازان من جديد على الغرب المسيحى مرة أخرى العمل المشترك ضد مصر، وأرسل من أجل ذلك سفارة عام 703هـ / 1303م إلى ملكى فرنسا وانجلترا يحثهما على الهجوم على مصر أو الشام، لدرجة أن سفراء غازان عرضوا على هذه القوة إمكانية أن يتحول غازان للمسيحية على إعتبار أنها الوسيلة الوحيدة لاقناع القوى الأوربية بمساعدة غازان، ولكن جهود غازان فى محاولة إشراك القوى الأوربية فى مشروعاته التوسعية ذهبت سدى وما لبث أن مات حزناً وكمدا بعد ثلاث سنوات من المعركة [91]، وبادر خلفه أولجايتو إلى طلب ود السلطان وإقامة العلاقات الطيبة بين المغول والمماليك [92].

على أنه من المهم هنا أن نشير أن هذا الإنتصار الأخير على المغول كان يعتبر الحلقة الأخيرة فى سلسلة الوقائع الكبرى التى دارت بين الدولتين المغولية والمملوكية، ذلك لأن العلاقات بين هاتين الدولتين قد أخذت تتحسن بعد ذلك، فعُقد صلح بين الناصر محمد وإيلخان مغول فارس الجديد أبى سعيد، كما أخذ الإسلام ينتشر بين أفراد الدولة ملوكاً وشعباً، ويمكننا القول بأن الخطر المغولى بعد موقعة مرج الصفر قد زال نهائياً عن مصر والشام حتى أوائل القرن الخامس عشر الميلادى عندما عاود الظهور من جديد على يد القائد المغولى تيمورلنك [93].

Abstract

The development of the war strategies of the Mongols of Persia after the Battle of Ain Jalut until the end of the Ghazan era

(664-703 AH / 1265/1303 CE)

By Youssef Rashid Rashdan Al-Mutairi

The campaigns of the Mongols against the Islamic world and the emergence of their great state, which included China and Iran, Mesopotamia, Asia Minor and Eastern Europe, constituted one of the most important incidents of Islamic history.

Until the decisive turning point in the history of the Islamic world and in the history of the Mughals came, which was the battle of Ain galut This battle, which represented the defining and decisive moment. Therefore, the Mongolian strategy changed after the battle of Ain Jalut, which varied between diplomacy at one time and hostility at other times, between trying to pretend to be friendly and sending embassies and between the raids that took place. It took the form of a swift and motorized character from the defeat of the Battle of Ain Jalut, and between the attempt to search for an ally who would share anger with the Mamluk Sultanate

In fact, the Mongols, since the battle of Ain Jalut, did not stop looking forward to the idea of a military invasion to the Levant and return to it again, and they made one attempt after another in order to achieve this goal, and tried to involve the European powers with them in a joint Mongolian crusade against the Mamluk

this study tries to discuss the war strategies of the Mongols of Persia from Ain Jalut until the Battle of Shaqhab. These strategies varied between direct hostility and an attempt at appeasement, diplomacy and formation of international alliances until the resounding defeat again, and how the Mamluk state proved that it is in the pursuit of all the Mongol military and conspiratorial practices on Islamic world

الهوامش

(1) النويري: نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج27، تحقيق سعيد عاشور، ص300. والتمرجي اسم لقبيلة جنكيز خان، ويحتمل أن يكون محرفا عن تموجين أو تمورجين وهو الاسم الأصلي لجنكيز خان، و"جنكيز خان" كلمة تعني: قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم، أو القوي.. حسب الترجمات المختلفة للغة المنغولية.. واسمه الأصلي "تيموجين". مؤسس الإمبراطورية المغولية، وقد اتسمت حروب جنكيز خان بالإكتساح والتدميرو التخريب، حتي تصير البلاد التي استولوا عليها مراعي لا نتشار جحافل المغول. النويري: نهاية الأرب ج27، ص300 هامش1؛ محمد أحمد محمد: إسلام الإيلخانيين، ط1، القاهرة 1989، ص7.راجع أيضا:

Grousset: L'empire de steppes Attila,Gengis khan, paris, 1984, P.305

(2) فؤاد الصياد : المغول فى التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 313 والتى تليها.

الجدير بالذكر أن موقعة عين جالوت ترتب عليها نتائج مؤثرة حيث دبت خلافات شديدة أثرت على وحدة الامبراطورية المغولية التى تكونت على يد جنكيز خان حيث انقسموا الى أربع وحدات تمثلت فيما يأتى مغول فارس،مغول القبيلة الذهبية،مغول اسيا الصغرى ومغول الصين،علاوة على ذلك أسقطت أسطورة ان الجيش المغولى لايقهر وتبديد هذه الخرافة وتحول مغول فارس فى كثير من الأحيان من الهجوم الى الدفاع.لمزيد من التفاصيل انظر: كاظم أمير:الصراع المملوكى الايلخانى على بلاد الشام،جامعة دمشق،2017م،رسالة دكتوراه غير منشورة،ص95.

(3) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك عهد دولة بنى قلاوون، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984، ص 9.

فى أعقاب هزيمة المغول فى موقعة عين جالوت لجأوا الى القوى الأوربية فطلبوا من الملك الأرمينى هيثوم الأول اعداد جيشة للانضمام اليهم لانهم قرروا الانتقام من جيش المماليك لما لحق بهم،فما كان من الملك هيثوم ان استدعى جيشه واحسن اعداده وقرر التحالف مع المغول ضد المسلمين.لمزيد من التفاصيل انظر:

عبد الله جاسم :العلاقات السياسية بين المغول ومملكة أرمينيا الصغرى،جامعة القاهرة،2005م،ص 102.

وقام هولاكو بالاتصال بالبابوية وعرض عليهم التعاون المشترك ضد المسلمين فبادر البابا أوربان الرابع ثم الكسندر الرابع بارسال سفارة يدعوه فيه لاعتناق المسيحية من أجل التعاون المشترك ولكنه لم يتم.لمزيد من التفاصيل انظر: *John,A.,The mongol world empire ,London,1995,pp.554-555.*

(4) **الخان:** لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين تولوا جزء كبير من الأمبراطورية المغولية، وهو مختلف عن "خاقان" والذى كان يطلق على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم، وقد أستعمل المغول خان بمعنى خاقان من باب الأختصار وهو لفظ تركى فارسى أصله"قاآن"ومعناه ملك الملوك واستعمل أيضا عند حكام الهند وبلاد القوقاز كثير من ممالك الاسلام الشرقية. انظر: فؤاد الصياد:المغول فى التاريخ،ج1،ص49؛فايز إسكندر:المشرق الاسلامى فى مواجهة تحالف المغول والأرمن،مجلة الثقافة اليمنية،العدد 19،ص 107،هامش رقم 12.

(5) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص136.

(6)*Leopold,A., How to Recover the holy land, the crusade proposals of the late thirteen and early fourteenth centuries Burlington, 2000,p. 118.*

(7) مارينو سانودو: كتاب الأسرار، ص 260.

احتل المغول جانبا كبيرا من دعاة الحروب الصليبية المتاخرة الذين دعوا الى اجتذاب المغول فى صفهم من أجل محاربة المسلمين واسترداد الأراضى المقدسة ومن أبرز هؤلاء الدعاة كل من فيدنزيوا بادوا وهيثوم الأرمينى قد نادى بالاتصال بالمغول وعرض التحالف عليه، ففيدنزيوا اقترح أن يقوم المغول بالهجوم على شمال سوريا وفى نفس الوقت يقوم الصليبيين بحملتهم على الأرض المقدسة. أما الأمير هيثوم الأرمينى فقد كان نادرا ومتعمقا فى دراسته لأحوال المغول وأوضح العلاقات بين الصليبيين وهولاكو، وبين أن خان المغول وعد بالتحول إلى المسيحية ولذلك كان هيثوم مشجعا للتحالف مع المغول. وجاء رامون لل وأيد التحالف مع المغول ولكنه اشترط تحول المغول إلى المسيحية وهناك أيضا وليم نوجارية مستشار الملك الفرنسى فيليب الرابع الذى دعا الى التحالف مع المغول خاصة ان لهم ثأرا لا ينسوه وهو ما لحق بهم فى موقعة عين جالوت، ويأتى بعد ذلك وليم ديورانت أسقف مند الذى كتب رسالة بعنوان النظم العامة للمؤتمرات الدينية وأكد فيها انه لابد للصليبيين التحالف مع المغول حيث يمكن الاعتماد عليهم والوثوق فيهم وهناك ايضا الداعى مارينو سانودو تورسيللو الذى كانت وجهة نظره متفقه ماع ممن سبقوه فى التحالف مع المغول ونرى ان كلا الطرفان سواء الصليبيين أو المغول كان كل منهما فى حاجة الى الاخر لتحقيق أطماعهم الشخصية ولمزيد من

التفاصيل انظر:

Het'um, The flower of histories of the east ,trans by bedrosian,R.,Newjersy,2004,p.140.CF also: Leopold., How to Recover the holy land,P.119;Chein, S., The West and the crusade, attitude and attempts 1291- 1312 Cambridge, 1979,pp.189-192; Brand,W., Pierre Dubois modern or medieval, AHR, Vol. 35 , 1935,P.507.

راجع ايضا:محمد على الشيحى:مشاريع دعاة الحروب الصليبية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين،جامعة صنعاء،2011،رسالة ماجستير غير منشورة،ص120–135

(8) مارينو سانودو : كتاب الأسرار، ص 284.

– كانت الجيوش المغولية تعمل على تنظيم جيوشها وتقسيمها إلى فرق عسكرية. وكان لكل فرقة راية خاصة بها حتى إذا ضل أحد الجنود طريقه يرجع بسهولة إلى فرقته العسكرية. كما كان لهم علامة خاصة توضع على خوذتهم وتدل عليهم والجدير بالذكر أن الصليبيون اتبعوا دور الأدلاء لجيوش المغول المغيرة على بلاد الشام. لمزيد من التفاصيل انظر:

Thorau, p., The Battle of Ayn galut, aReex amined, Crusade and Settlement Cardiff, 1985pp. 240-242.

(9) ابن عبدالظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص 34؛ جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر (الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، [د. ت]، ص 233، 235 ؛ أحمد عبد السلام ناصف: أغراض السفارات إلى مصر في العصر المملوكي" القوى الإسلامية والمغول أنموذجاً " (648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م) بحث منشور بمجلة الإستواء الصادرة عن جامعة قناة السويس ومركز البحوث والدراسات الأندونسية فى عددها الخاص يوليو 2017، وهو ضمن أعمال المؤتمر الدولى الرابع لدراسات التراث الشعبى بجامعة قناة السويس، ص 514.

(10) سيواس: اقليم بالروم باسيا الصغرى وهى بلدة كبيرة مشهورة بينها وبين قيصرية ستون ميلا ويمر بواديها نهر قزل إرمك. انظر: ياقوت الحموى:معجم البلدان،ج1،بيروت 1968م،ص895. وقد وصفها ابن بطوطة " من بلاد ملك العراق وأعظم ماله بهذا الإقليم من البلاد وبها منزل أحرائه وعماله". رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادى التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م، ج2، ص 289.

(11) سعيد عاشور، الظاهر بيبرس، سلسلة أعلام العرب 14، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة مصر، القاهرة، 1963م، ص 99 ؛ أحمد ناصف : أغراض السفارات، ص 520.

هيثوم الأول: هو ابن قسطنطين الاول جاثليق الارمن ولد فى عام 1213م تزوج من ايزابيلا Esabela وريثة الملك ليو الثانى.لمزيد من التفاصيل انظر:

Adalian,P.R., historical dictionary of Armenia,Toronto,2010,p.360-361.

أرمينية الصغرى:سميت بذلك الاسم للتمييز بينها وبين أرمينية القديمة المعروفة باسم أرمينية الكبرى وهى محصورة بين سلسلتين من الجبال هما سلسلة جبال بنطس وسلسة جبال طوروس جنوبا وتمتد مابين اسيا الصغرى الى الغرب من نهر الفرات وبين أذربيجان والاقليم الجنوبى الغربى من بحر الخزر وفى اتجاه ملتقى نهر الكر ونهر الرس شرقا. لمزيد من التفاصيل انظر :فايز إسكندر:الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة الروم 16يونيو 1292م/11رجب 691ه،بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى،مكتبة الأنجلومصرية2003م،ص248،هامش رقم 2.

([12]) ابن عبد الظاهر :سيرة الملك الظاهر،ص 400–401؛ كاظم أمير:الصراع المملوكى الايلخانى على بلاد الشام،،رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق،2017م ص182.

([13]) هو الشيخ محيى الدين النووى أعظم علماء عصره، ولما تصدى للملك الظاهر غضب عليه وأمره بالخروج من الشام، فخرج بالفعل إلى بلد تسمى " نوى" فلما تشفع فيه العلماء بدمشق وقالوا هذا من كبار علمائنا وصلائحنا ومن يقتدى به فأعده إلى دمشق، فأمر السلطان برجوعه، فرفض الشيخ النووى قائلا لا أدخلها والظاهر بها، وفعلاً لم يدخل دمشق إلا بعد وفاة الظاهر، فدخلها وأقام

بها ستة أشهر ووافته المنية فى الرابع والعشرين من رجب سنة 676 هـ / 1277م انظر : السيوطى : حسن المحاضرة، ج2، ص 105؛ ابن اياس : بدائع الزهور، ج1، ص 33.

وفى الواقع فإن هذا الموقف قد تكرر فى بعض المرات إستناداً إلى فتوى العز بن عبد السلام ففي سنة 703ه/1303م في عهد السلطان الناصر محمد استدعى مجدي الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر فأحضر فتوى الشيخ عز الدين بن عبد السلام للملك المظفر قطز بأن يؤخذ من كل إنسان دينار فرسم له الأمير سلار بأخذ خط الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد فأبي أن يكتب بذلك فشق هذا على الأمير سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام فقال :لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم هم ورأه وحلف كلا منهم إنه لا يملك سوى هذا كان ذلك غير كاف فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغني أن كلا من الأمراء له مال جزيل وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر ورفض الفقهاء إعطائه هذه الفتوى وترك المجلس دون إعطائه الفتوة انظر : المقريزي : السلوك، ج2، ص327 ؛ المقفي الكبير، ج6، ص385، 386؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص72، 73؛حياة الحجي: السلطة والمجتمع، ص84، 85؛ رجب محمود إبراهيم بخيت: تاريخ دولة المماليك، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، (د. ت)، ص217 ؛ محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية، ص325؛ إيمان صلاح : دور نساء البلاط، ص421.

([14]) السيوطى : حسن المحاضرة، ج2، ص105 ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ص 336- 337.

([15]) المقريزى: السلوك، ج1، ص 630- 631.

(16) بيبرس الدوداري، زبدة الفكر، ص 104، 105؛كاظم أمير:الصراع المملوكى الايلخانى،ص186.

(17) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 15.

[(18)] ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، ص 288، تصحيح الأب انطوان صالح اليسوعي، دار الدائرة اللبناني، بيروت، لبنان، ط3، 1992.

[(19)]أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 15.

ديمتريوس الثانى هو ابن الملك دافيد السابع David VII ووالدته الملكة جافنتسا Gavantsa قتلت على يد المغول فى عام 1261م وعند وفاة والده كان يبلغ من العمر احدى عشر عاما فحكم البلاد تحت الوصاية وشارك مع المغول فى معركة حمص الثانية 1281م وتزوج ثلاث مرات وأنجب سبعة من البنين والبنات وتوفى عام 1289م.لمزيد من التفاصيل انظر: *Finalay,G.,the history of Greece and empire of Trabizond 1204-1261,Edinburgh,1978,p.436-437.*

بلاد الكرج هى جمهورية جورجيا الاشتراكية حاليا تسير حدودها الشمالية بمحاذاة سلسة جبال القوقاز وحدودها الشرقية تتاخم بلاد داغستان الجبلية وسهول أذربيجان وتطل بحدودها الغربية على البحر الأسود اعتنق سكانها المسيحية فى عام 303م وكان الفرس يطلقوا عليهم اسم كورجستان Gurdjistan أى بلاد الكرج والروس أطلقوا عليها اسم جروزيا، أما المسلمون فقد أطلقوا عليها جرزان أحياناً وبلاد الكرج أحياناً، أما البيزنطيون فأطلقوا عليها أيبيريا Iberie وكان سكانها يقيمون فى جبال القبق. انظر فايز نجيب. بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، الإسكندرية 1988، ص8-9-18.

راجع أيضا: *O.D.B, Vol. 2, p. 840.*

[(20)] ابن خلدون : العبر في ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص 396 ؛ بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة، ص 175.

([21]) ابن تغرى يردى: النجوم الزاهرة، ج12، ص 74 ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة، ج1، ص 449.؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج6، ص 348

([22]) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 16 – 17.

فرسان الدوايه [فرسان المعبد] من أصل فرنسى قام بتكوينها تسعة من السادة الفرنسيين برئاسة هيو دى باينزا وجود فرى دى سانت أومر وأوضحوا أن هدفهم هو حماية الحجاج المسيحيين فى بيت المقدس ومحاربة الأعداء، وأعطاهم بلدوين الثانى 1131م منزلاً يقيمون فيه بجوار معبد سليمان وتطورت هذه الجماعة ولعبت دور بارزا فى الحروب الصليبية وأصبحت من الأعمدة الأساسية للدفاع عن بيت المقدس وقد إرتبطت نشأة جماعة فرسان الداوية بتأمين طرق الحجاج المسيحيين رعايا الصليبيين من إغارات المسلمين و إعترف بها البابا إنوسنت الثانى (1130–1143م)فى عام 1139م، ومع بداية القرن الثالث عشر الميلادى اصبح للداوية مراكز عديدة فى الغرب الأوروبى. وانظر: مؤلف مجهول: تتمة كتاب وليم الصورى المنسوب خطأ لروثلان 1229–1261م، ترجمة أسامة زيد، طنطا 2001، ص 73. راجع أيضاً :نبيلة مقامى فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام، ص 16–18. راجع أيضا: *Christiansen, E., The Northern Crusades the Baltic and the Catholic Frontier 1100–1525 Minneapolis, 1980, p. 73.*

الاسبتاريه أو فرسان القديس يوحنا هى منظمة عسكرية دينيه يرجع تاريخها إلى عام 1048م أنشئت على يد القديس جيرار، قام بتأسيس مستشفى فى بيت المقدس من أجل إيواء الحجاج اللاتين واعترف البابا بسكال الثانى بهذه الفرقة فى عام 1113م وانقسموا إلى ثلاث فئات هم= =الفرسان والأطباء والقساوسه وكان لها دورها العسكرى فى خدمة الحركة الصليبية، لمزيد من التفاصيل أنظر: يوشع براور: عالم الصليبين، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خلفة حسن، القاهرة 1981، ص188 – 189؛ نبيله مقامى: فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام فى القرنين 12، 13م، القاهرة 1994، ص13 – 15. راجع أيضاً:

Luttrel, A., The Hospiltallers in cyprus after 1291 ,London, 1978, P.161; Edbury, P., The Kingdom of Cyprus and Crusades, 1191 – 1374,Cambridge, 1991, P.111.

([23]) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر، ج4، ص 10؛ المقريزى : السلوك، ج1، ص 698؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج5، ص 409.

ومن عوامل قيام موقعة حمص خيانة الامير سنقر الاشقر الذى راسل المغول وحرضهم على القدوم الى الشام،تحجج المغول بان المماليك اعتدوا عليهمومهاجمة اهالى الشام لاراضى الروم التابعة للمغول واستيلائهم على القوافل والمحاصيل. لمزيد من التفاصيل انظر:

الهمذانى :جامع التواريخ فى غزو المغول –ابناء هولاكو،ترجمة محمد صادق،القاهرة 1960،ص82.

(24) المقريزي، السلوك، ج1، ق2، ص62.

وبالرغم من أن تكودار الإبن الوحيد لأرغون خان فإن جده آباقا خان (أبغا) رغب فى أن يأخذ الطفل الصغير عنده ليتولى هو تربيته بنفسه، فوافق والده على ذلك، وعندما بلغ الخامسة من عمره عهد به جده إلى أحد العلماء الخطائين كى يعلمه وسثقه فى علوم المغول وآدابهم، وخلال خمس سنوات أتقن تلك المعارف، وفى سن الثامنة كان جده يصحبه فى كل رحلات الصيد، فبدأ يتدرب على الفروسية والرماية.انظر: فؤاد الصياد: السلطان محمود غازان خان المغولى واعتناقة الإسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1979، ص 3.

(25) المقريزي، السلوك، ج3، ق2، ص82.

([26]) القلقشندى : صبح الأعشى، ج8، 65–71.

([27]) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 24 – 25 ؛محمود سعيد عمران:المغول والاوربيون والصليبيون وقضية القدس،الاسكندرية 2009م،355.

ادوارد الأول:من أقوى ملوك انجلترا فى العصور الوسطى ولد فى مدينة ويستيمنستر فى 17 يونيو 1239م وهو الابن الأكبر للملك هنرى الثالث والملكة اليانور وكان يتميز بالطموح وقوة الارادة وكان قائد محنك فى فنون الحرب والسياسة واستطاع تحقيق نجاحات على كل المستويات فى انجلترا ولمزيد من التفاصيل انظر:

Chronicle of the bury st.Edmunds 1212-1301,edited with introduction and translation by Antonia.G.,P.10

فيليب الرابع:ابن الملك فيليب الثالث والملكة ايزابيلا ملكة أرجون ولد فى عام 1235م وسمى بالجميل أو الوسيم بسبب هيئته الحسنة وهو من سلالة أل كابيه وتزوج من الملكة جوان ملكة نافار فأصبح ملك نافار وكونت شمبانى ونجح فى تأسيس مملكة حديثة بسلطة مركزية قوية وشهد عهده عدم استقرار إقتصادى.لمزيد من التفاصيل انظر :

Lizarnd,G.,le doissier de l affaire des templiers,Paris,1923,p.16.CF also:
Julian,M.,Les secrets des rois de France,Paris.2004,p.p.141-143;Lodge,R.,the close of the middle ages,London,1923,p.56.

نيقولا الرابع :اسمة الحقيقي جيرمو ماسيوس ولد فى الثالث من سبتمبر 1227م لأبوين فقيرين عرف خلال حياته بالورع والتقوى ونشأفى مدينة ليسكيانو الايطالية وتولى أسقفية فلسطين عام 1281م وكان كاهنا لأسقفية وابرشية دالمشيا وحصل على درجة الدكتوراه فى علم اللاهوت وقام بتدريس الفلسفة والعلوم الدينية فى جامعة بولونيا

فى 22 فبراير 1288م وتوفى فى روما 4أبريل 1292م *Honorious IV*خلفا للبابا هونوريوس الرابع وتولى الكرسى البابوى ودفن فى كاتدرائية القديسة ماريا انظر: *Horac,M.,lives of the popes in the middle ages,London,1931,p.8;Rayan,J.,international of the oriental mission and crusade activites of the papacy under Nicholas IV1288-1292,Newyork,1972,p.6*

(28)ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص6– 10؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 65، 68.

(29) هو غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولاء بن جنكيز خان، ملك المغول ولقد سمي بمحمود بعد أن اعتنق الإسلام، وكانت مدة حكمه 8 سنوات وعشرة أشهر، توفي عام 703 هـ / 1304م بعد إصابته بالحمى عندما علم بهزيمة جيشه. انظر: العينى : عقد الجمان، ج4، ص316 وما بعدها.

(30) تولى عرش السلطنة المملوكية ثلاث مرات متقطعة الأولى (693–694هـ/1293–1294م)، والثانية (698–708هـ/1298–1308م)، أما الفترة الثالثة فهى أطول فترات حكمه (709–741هـ/ 130–1340م). ابن أيبك الدوادارى:الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1960م، ص 6، 7، 167؛ الصفدى: الوافى بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركى مصطفى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 2000 م، جـ4، ص251، 253، 259؛ أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق على أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، 1998م، جـ5، ص74؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، جـ4، ص166، 172، 184، 185؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م، جـ1، ص169، 213، جـ2، ص19؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، عالم الكتب، القاهرة، 1985م، جـ2، ص114، 129، 145؛ ابن شاهين الظاهري: نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ص85–87.

هذا وقد تكررت الرسائل من غازان للسلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون فعلى سبيل المثال يقول له " فقابلتم ذلك بالإصرار، وحكمتم عليكم وعلى المسلمين بالإضرار، وخالفتم سنن الملوك، فى حسن السلوك، وصبرنا على تماديكم فى غيكم، وخلودكم إلى بغيكم، إلى أن نصرنا الله، وأراكم فى أنفسكم قضاة..."انظر :القلقشندى : صبح الأعشى، ج8، ص 69، وحسب إحدى الكتابات " ويبدو أن غازان كان لا يعترف بنظام حكم المماليك فى مصر، إذ أرسل الى القاهرة رسالة يتهكم فيها عليهم

ويشير الى انتقال الحكم فى مصر من الملوك إلى العبيد. انظر : أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 46، ويعلق كاتب الدراسة المذكروة " أن تلك النغمة فى خطاب غازان لم يكن لها آنذاك ما يبررها، فإذا كان خانات المغول قد درجوا منذ أيام جنكيز خان على ارسال خطابات التهديد والوعيد إلى حكام الدول قبل مهاجمتهم، كما ادعى الخانات دائما أن سلطتهم مستمدة من السماء، إذا كان ذلك قبل عصر غازان فإن تلك الدعوى انتهى زمانها، وأصبحت دولة مغول فارس تعيش فى ظروف سياسية مغايرة تماماً لظروف دولة المغول الأولى. انظر : أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 56.

(31) القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 68- 71.

(32) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص120-123.

(33) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص129.

(34) هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الدمشقي، ولد بحران في العاشر من شهر ربيع الأول عام 661 هـ من أسرة ذات صيت في العلم والدين فجده محمد الدين ابن تيمية من كبار أئمة المذهب الحنبلي، وكبار علمائه، ووالده شهاب الدين العالم والمحدث الفقيه انظر: الحافظ البزّار : الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : صلاح الدين المنجد، بيروت 1976، ص 21 ؛ تكملة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع وتحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ب-ت، ص 38، قضى ابن تيمية أعوام عمره الأولى حتى بلغ السابعة من عمره في كنف أسرته حتى أغار المغول على حران وكانوا يجتاحون العالم الإسلامي يلحقون الدمار والخراب ويرتكبون المجازر والمذابح، فالتجأت أسرة ابن تيمية إلى الشام، وفي دمشق تلقى دروس العلم واشتغل بدراسة الفقه والحديث واللغة العربية واهتم بالعلوم الدينية. انظر: محمد المقدسي، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق أبي مصعب طلعت فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2002، ص 3.

(35) ابن حجر : الدرر الكامنة، ج1، ص 145 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج5، ص 755.

(36) ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر، ج9، 15 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 6.

(37) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 6.

(38) الإدفوى: الطالع السعيد، ص171 ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ق1، ص403.

(39) اليافعى: مرآة الجنان، ج4، ص 239 – 237 ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه، ج1، ص 154 ؛ الكتبى : فوات الوفيات، ج2، ص 284 ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج8، ص 146 ؛ السيوطى : حسن المحاضرة، ج2، ص 113 ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ص 393 – 411.، وابن دقيق العيد : هو شيخ الإسلام تقى الدين أبو الفتوح محمد بن مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع القشيرى المنفلوطى الشافعى، ولد عام 625 هـ ، كان زاهداً، اتجه إلى التصوف، وصار صوفياً، انظر: ابن تغرى بردى : النجوم، ج8، ص 206 ؛ محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك، ج1، ص 95.

(40) الشيخ الكردى : هو أيوب الكردى المعروف بالخصى، أحد المعتقدين بهم فى دمشق، له زاوية بها، واتجه إلى غزة ثم تحول إلى مصر، وخرج على رأس المتطوعة من المسلمين، من مصر للجهاد ضد المغول، واستشهد فى المعركة. انظر: ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة، ج1، ص 435.

(41) هو الشيخ حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن أبو الفضايل الحنفى، أسره المغول سنة 699هـ وباعوه للفرنج، وصل قبرص وصار بها حكيماً، وعالج صاحب قبرص من مرض خطير فشفى منه فأطلقه. انظر : ابن تغرى بردى : النجوم، ج8، ص 190.

([42]) شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى، أسره المغول أثناء جهاده ضدهم عند أسر غازان، ثم أخذه الفرنج، وكان شيخاً زاهداً ناسكاً، توفى فى الثانى من جمادى الآخرة سنة 765 هـ. انظر: ابن العماد : شذرات الذهب، ج6، ص 204.

([43]) السلطان المنصور حسام الدين لاجين: أصله من مماليك السلطان المنصور قلاوون، وقد اشتراه ورباه وأعتقه ورقاه وجعله من جمله مماليكه، ولما تسلطن المنصور قلاوون جعله نائباً لقلعة دمشق، ودام بها إحدي عشر سنه إلى أن عزله الأشرف خليل بن قلاوون، وكان ممن شارك في قتله سنة 693هـ/ 1293م، وقد تسلطن حسام الدين لاجين سنة 696هـ / 1296م وتلقب بالمنصور بعد خلعه للعادل كتبغا، وجعل مملوكه منكوتمر نائبه في مصر، وكان هذا من أهم أسباب نكبته، حيث اتفق بعض الأمراء على قتله، وتم قتله سنة 698 هـ / 1298م على يد الأمير كرجي مقدم البرجية، وكان متديناً خيراً متقشفاً كثير الصوم قليل الأذى، قطع أكثر المكوس، وعمر جامع أحمد بن طولون، وأوقف عليه أوقافاً كثيرة. للمزيد من التفاصيل انظر. بيبرس المنصوري: التحفة الملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من 648-711هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م، ص147 - 155؛الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص290 -292؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافى، ج9،ص166 - 173؛ مورد اللطافة، ج2، ص51-55؛ القرماني: أخبار الدول، ج2، ص278، 279؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج1، ق1، ص32

([44]) عادل عبدالحافظ : نيابة حلب من عصر سلاطين المماليك، ج1، ص 117.

([45]) ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 403.

([46]) ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 403.

([47]) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج8، ص 118.

([48]) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج8، ص 118، 119.

([49]) الأمير سلار: هو الأمير سيف الدين سلار بن عبد الله المنصوري، نائب السلطنة المملوكية بمصر، كان تركى الجنس، وممن وقعوا في الأسر عندما غزا الظاهر بيبرس بلاد المغول فاشتراه المنصور قلاوون قبل سلطنته وأعطاه لابنه الصالح علي ثم رجع إليه بعد وفاه الصالح ثم خدم ابنه الأشرف خليل، ثم صار نائب السلطنة المملوكية في فترة حكم الناصر محمد الثانية وكون ثروة طائلة، ثم قبض عليه الناصر عندما عاد للحكم ومُنع عنه الطعام والشراب حتى توفي سنة 710ه/ 1310م.الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م، ج2، ص86، 87؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج16، ص33؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج2، ص29، 30؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2011م، ج6، ص5-8؛ الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهمي محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1989م، ج1، ص314، 315؛ ابن سباط: صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، جروس برس، لبنان، 1993م، ج2، ص606، 607.

([50]) ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 403.

([51]) البداية والنهاية، ج14، ص 6.

([52]) ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 403.

([53]) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 6.

([54]) في حين يذكر ابن أيبك الدواداري أن أحداث تلك المعركة وقعت في نهاية يوم الأربعاء التاسع والعشرون من ربيع. ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر، ج9، ص 17.

([55]) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 7؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 403.

[56] السنجق كلمة تركية الأصل تعني العلم أو الراية، أحمد البيومي : هامش عيون الروضتين في أخبار الدولتين، ص 254

[57] ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر (الدر الفاخرة في سيرة الملك الناصر)، ج9، ص 17، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ط1، 1960؛ المقريزي : السلوك، ج1، ق 3، ص 188 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص 122،

[58] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص7

[59] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 7.

[60] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 8 ؛ النويري السكندري : الإلمام، م2، ج3، ص 235، 236.

ولمزيد من التفاصيل انظر أيبك الدواداري : كنز الدرر، ج9.

[61] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 7

[62] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 7 ؛ المقريزي : السلوك، ج1، ق3، ص 891، وراجع أيضاً : أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 49 ؛ السيد صبرى السباعى: سياسة سلاطين المماليك تجاه الطبقات الشعبية (648–923ه / 1205–1517م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2019، ص 92.

[63] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص8.

[64] التحفظ وتحديد الإقامة. ابن زنبل الرمال : آخر المماليك، ص 106

[65] ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 8، 9

[66]) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 49– 50.

[67] ابن أيبك الدواداري : كنز الدرر، ج9، ص 31 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 9 ؛ النويري السكندري : الإلمام، ج2، ج3، ص 235.

[68] ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 405.

[69] نائب السلطنة: هو أرفع مناصب الدولة بعد السلطان، أى هو القائم مقام السلطان في أغلب أموره، ويُقال له أيضا " النائب الكافل " أو " كافل الممالك الإسلامية "، وقد كانت الدولة المملوكية تنقسم إلى جملة أقاليم، كل منها تسمي مملكة أو نيابة، ولذلك كانت تسمي في مجموعها الممالك الإسلامية، أو النيابات، فكان لكل منها نائب أطلق عليه نائب السلطنة، وكان له داراً خاصة بالقلعة تمسي دار النيابة، يقيم فيها لسماع القصص والأحكام لمباشرة عمله، وأول من بناها السلطان المنصور قلاوون، وقد كانت النيابة في مصر تنقسم إلى النيابة العظمي، ونيابة الأسكندرية، ونيابتي الوجهين القبلي والبحري، وأخيراً نيابة الغيبة. القلقشندي: صبح الأعشي، ج3، ص37، ج4، ص16، 17؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ج2، ص43، 44؛ على إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص214، 215؛ محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م، ص67–89؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج1، ق1، ص86، 90، 91؛ ليلي عبد الجواد: نائب السلطنة المملوكية، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، القاهرة، عدد1، يناير، 1988م، ص159 – 219.

[70] ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 405.

(71) السيد صبرى : سياسة سلاطين المماليك، ص 94.

[72] ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج8، ص 129، ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ق1، ص 413.

[73] ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 413.

[74] ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ط1، ص 413.

(75) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج8، ص 136 – 146

ولمزيد من التفصيل عن هذا الصلح انظر النجوم الزاهرة، ج8، ص 136 – 146.

(76) المقريزى: السلوك، ج2، ص533؛ اليافعى : مرآة الجنان، ج4، ص 228؛ الإدفوى : الطالع السعيد، ص171 ؛ ابن اياس : بدائع الزهور، ج1، ص 404.

وقف الشيخ صدر الدين بعد أن أسلم غازان، وأنطقه بالشهادتين، وبذلك تم إسلامه ونثروا عليه الذهب والفضة واللؤلؤ، وأقبل الناس يقبلون يديه ورجليه ويتبركون به، ويصيحون من كثرة الفرح وهو ينظر إليهم ويضحك. انظر: فؤاد الصياد: السلطان محمود غازان، ص 9.

(77) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 20 ؛ ابن كثير، ج9، ص 82.

(78) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 20.

(79) محمد أبو زهرة : ابن تيمية حياته وعصره – أراؤه وفقه، ص 42، دار الفكر، القاهرة، 1960م.

(80) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 22.

(81) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج7، ص 159.

(82) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج6، ص 159.

(83) أيبك الدوداري : كنز الدرر، ج9، ص 88 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 123.

(84) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج6، ص 160 – 161.

(85) وفاء محمد علي : جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين والمغول ص 12، المكتبة العلمية، القاهرة، ط1، 1985م.

(86) ابن كثير : البداية والنهاية، ج14، ص 23.

(87) عطية القوصي : تاريخ مصر الإسلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1987م، ص 171.

(88) الهمداني : جامع التواريخ، ص 184، ترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد، دار الثقافة للنشر، طبعة 2000.

(89) أنور زقلمة : المماليك في مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995م،، ص 57، 58.

(90) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج8 ص 164.

(91) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص60– 61.

(92) أحمد عبد الكريم سليمان : المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص59؛ عطية القوصي : تاريخ مصر الإسلامية، ص 171.

(93) ومن الجدير بالذكر فقد اتجهت القوات المملوكية بعد ذلك إلى بلاد الأرمن واستولوا سنة 703هـ / 1203 م على عدة مناطق هناك، وخربوا مدينة سيس – عاصمة الأرمن – وأسروا معظم أهلها، وعادوا محملين بالكثير من الغنائم والأسرى انظر: المقريزى: السلوك، ج1، ص 549؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج6، ص 7؛ سعيد عاشور :الحركة الصليبية، ج2، ص 1158، ولقد أرسل طقطاي ملك مغول القفجاق سنة 704هـ/ 1304م سفارة للسلطان الناصر محمد بن قلاوون طالباً منه تكوين جبهة مشتركة ضد مغول فارس. انظر: ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص 207، وتولى أوليجاتو سنة 704هـ/ 1305م عرش مغول فارس فأرسل سفارته إلى الناصر محمد لطلب الصلح وتوحيد الكلمة 704هـ/ 1305هـ. انظر: النويري، نهاية الأرب، ص 29، ص 125، 128، هذا وفى عام 705هـ / 1305م عندما هاجم المغول نيابة حلب مما كان له أكبر الضرر عليها، الأمر الذي جعل السلطان المغولي للقبيلة الذهبية القفجاق يستغل الموقف ويعرض التحالف مع المماليك ولكن يبدو أنهم رفضوا متحججين بعقد التحالف مع ملك المغول خرباند خليفة غازان ولا يجوز لهم نقضه. انظر: عادل عبدالحافظ، نيابة حلب، ج1، ص 122، وقد

سارع مغول فارس بطلب الصلح مع الناصر محمد، فلما طلب طقطاي سنة 706هـ/ 1306 م، وسنة 713ه / 1313 ــ الصلح للتصدي لغازان أعلمه السلطان الناصر محمد أنه عقد مع غازان ولا يستطيع نقضه، كما حاول أزيك خان أيضاً التحالف مع الناصر محمد ضد مغول فارس. انظر: ابن أيبك، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1960م، ص 128 ؛ ابن أبي الفضل، النهج السديد، ص 611 ولكنه اعتنق المذهب الشيعي فعاودوا هجومهم على ممتلكات المماليك ولكن بعد موته وتوليه ابنه بوسعيد (717-736هـ/1317-1335م) انظر: المقريزي، السلوك، ج2، ق2، ص404؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م، ج2، ص271، 272؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج1، ص501؛ ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج1، ص202؛ النجوم الزاهرة، ج 9، ص309؛ المنهل الصافي، ج3، ص442، 443 ؛ أحمد ناصف : أغراض السفارات، ص 520 – 521.

هذا وقد عاد الهدوء مع المماليك وأرسل سفارته لطلب الصلح سنة 720هـ/ 1320م فوافق المماليك على الصلح وعودة التجارة بين البلدين. انظر: بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، ج9، ص430 ؛ ابن أيبك، الدر الفاخر، ص 127- 128؛ ابن أبي الفضائل، النهج السديد، ص610 ؛ المقريزي، السلوك، ج2، ق1، ص6.وقدمت رسل بوسعيد 723هـ/ 1323م لتأكيد الصلح وإن البلاد بلاد واحدة وأخذ موافقة السلطان على ذلك. انظر: المقريزي، السلوك، ج2، ق1، ص 175، 209، 210؛ وقد ذكر ابن خلدون ابن سفارة بوسعيد جاءت إلى مصر لطلب الصلح سنة 722ه/ 1322م. العبر، ج5، ص 431- 432، وراجع أيضاً: أحمد عبد الكريم سليمان: المغول والمماليك فى عهد دولة بنى قلاوون، ص 75 وما بعدها .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر المطبوعة :

الأدفوي: كمال الدين جعفر بن تعلب (ت 748 هـ / 1347 م)

1. الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد محمد حسن، مراجعة: د / طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966

ابن إياس: (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس) ت 930هـ / 1523م.

2. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م.

ابن أيبك الدوادارى: (أبو بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري) ت بعد 736هـ / 1335م

3. الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية وهو الجزء الثامن من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أولرخ هارمان، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1971م.

4. الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1960م.

ابن بطوطة: (شمس الدين أبي عبدالله محمد الطنجي) ت779 هـ / 1377م

5. رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادى التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997م

بيبرس المنصوري: (ركن الدين بيبرس بن عبدالله المنصوري) ت 725هـ / 1324م

6. مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م.

7. التحفة الملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من 648-711هـ، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1987م.
8. زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة عصر سلاطين المماليك، تحقيق زبيدة محمد عطا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2001م.
9. تكملة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع وتحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ب-ت.

ابن تغري بردي: (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي) ت 874هـ / 1469م

10. حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1990م.
11. الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهمي محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1989م.
12. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق حسين نصار، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م.
13. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2011م .
14. مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2012م.

الحافظ البزّار :

15. الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد، بيروت 1976.

ابن حبيب: (بدر الدين الحسن بن عمر بن حبيب) ت 779هـ/ 1377م.

16. تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.
17. درة الأسلاك في دولة الأتراك، تحقيق محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014م.

ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد) ت 852هـ / 1448م

18. إنباء الغمر بأنباء العُمر، تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 2011م.
19. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1993م.
20. ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1992م.

- **الحموي " شهاب الدين ياقوت " ت (625هـ / 1227م)**

21. معجم البلدان، بيروت، 1968.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي) ت 808هـ / 1405م

22. تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م.

ابن دقماق: (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى) ت 809هـ/ 1406م.

23. الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق العربية، بيروت، [د. ت].
24. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، القاهرة، 1985م.

25. النفحة المسكية فى الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.

ابن زنبل الرمال:(أحمد علي بن أحمد بن زنبل بن زنبل الرمال المصري) ت بعد 980هـ/1587م.

26. أخرة المماليك أو واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، تحقيق عبد المنعم عامر، ط2، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998م.

ابن سباط:

27. صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمرى، جروس برس، لبنان، 1993م.

السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد) ت 911هـ / 1505م

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق مجدي فتحي، ياسر سعيد، المكتبة التوفيقية، (د. ت).

ابن شاهين الحنفي: (زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين) ت 920هـ / 1514م

28. الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2014م.

29. نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م.

30. نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، 2002م.

الصفدي: (صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي) ت 764هـ / 1362م

31. الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000 م.

32. أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، 1998م.

ابن العبري: (غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي) ت 685هـ / 1286م.

33. مختصر تاريخ الدول، تحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، ط3، دار الرائد اللبناني، لبنان، 1983م.

ابن عبد الظاهر: (محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر السعدي) ت 692ه-1292م.

34. تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1961م.

35. الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996 م.

36. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز خويطر، الرياض، 1976م **ابن العماد الحنبلي : شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن محمد) ت 1089هـ / 1678م.**

37. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1986م.

العيني: (بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى) ت 855هـ / 1451م.

38. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس أرنست، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،1962م.

39. السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق فهيم محمد علوي شلتوت، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1998م.

40. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث 648- 712هـ/1250-1312م)، تحقيق محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.

41. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم 815هـ -824هـ)، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي القرموطي، مطبعة علاء للنشر، القاهرة، 1985م.

أبو الفدا: (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت 732هـ / 1331م.

42. المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم، يحيى سيد، دخائر العرب 69، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

القرماني: (أحمد بن يوسف القرماني) ت 1019ه/1610م.

43. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، القاهرة، 1992م.

القلقشندي: (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي) ت 821هـ / 1418م

44. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010م.

الكتبي: (محمد بن شاكر الكتبي) ت 764ه/ 1362م.

45. فوات الوفيات والذيل عليه، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1973م.

ابن كثير: (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير) 774هـ / 1372م.

46. البداية والنهاية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 2006م.

المقريزي: (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت 845هـ / 1441م

47. درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

48. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ج2 تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، ط2، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007م.

49. السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ج4 تحقيق محمد مصطفى زيادة، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ــ 2006م.

50. المقفي الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.

51. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

52. النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد السيد علي، الطبعة الخامسة، المكتبة الحيدارية، النجف العراق، 1987 – 1967م.

النويري السكندري: (محمد بن قاسم بن محمد المالكي) ت775هـ / 1373م

53. الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، تحقيق عزيز سوريال، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، 1970م

النويري: (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري) ت 733هـ / 1332م.

54. نهاية الأرب في فنون العرب، تحقيق نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

الهمزاني : (رشيد الدين فضل الله الهمزاني) ت 718هـ/ 1318م.

55. جامع التواريخ، ترجمة فؤاد عبدالمعطي الصياد، دار الثقافة للنشر، طبعة 2000، 1420هـ.

56. تاريخ المغول (الإيلخانيون- تاريخ هولاكو)، تقديم يحيى الخشاب، ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، المجلد2، ج1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

اليافعي: (أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي) ت 768هـ / 1366م.

57. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

ثانياً المراجع :-

أحمد عبد الكريم سليمان :

1. المغول والمماليك عهد دولة بنى قلاوون، دار النهضة العربية، القاهرة، 1984.

أنور زقلمة :

2. المماليك في مصر، سلسلة صفحات من تاريخ مصر 24، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.

جمال الدين سرور :

3. دولة بني قلاوون في مصر (الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، القاهرة، [د. ت]

حياة ناصر الحجي :

4. السلطة والمجتمع في سلطنة المماليك (فترة حكم السلاطين المماليك البحرية من سنة 661هـ/ 1262م إلى سنة 784هـ / 1382م)، مجلس النشر العلمي، الكويت، 1997م

5. الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق ودراسة وثيقة وقف سرقايوس، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983.

6. صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1992م.

رجب محمود إبراهيم بخيت:

7. تاريخ دولة المماليك، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، (د. ت)

سعيد عبد الفتاح عاشور :

8. الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1976.

9. المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م.

10. العصر المماليكي في مصر والشام، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1976م.

11. بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، دار الأحد، بيروت، 1977م.

12. مصر في عصر دولة المماليك البحرية، الألف كتاب 227، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.

13. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972 م.

14. الظاهر بيبرس،سلسلة أعلام العرب 14، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مطبعة مصر، القاهرة، 1963م.

عادل عبد الحافظ حمزة :

15. نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، (648-923هـ/1250-1517م)، سلسلة تاريخ المصريين 187، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م

عبد المنعم ماجد :

16. نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1967م.

17. التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر دراسة تحليلية للازدهار والانهيار، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1988م.

عطية القوصي:

18. تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني 19 – 924هـ/ 639- 1517م، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1987م.

علي إبراهيم حسن:

19. دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عهد الناصر محمد بوجه خاص، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م.

فايز نجيب اسكندر:
20. بلاد الكرج بين المسلمين والبيزنطيين، الإسكندرية 1988.
فؤاد عبدالمعطي الصياد:
21. المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1980م.
22. السلطان محمود غازان خان المغولى واعتناقة الإسلام، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1979.
محمد أبو زهرة:
23. ابن تيمية حياته، وعصره – آرائه وفقهه، دار الفكر، د.ت
محمد أحمد محمد:
24. إسلام الإيلخانيين، ط1، القاهرة 1989.
محمد المقدسي :
25. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق أبي مصعب طلعت فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، 2002.
محمد عبد الغني الأشقر :
26. نائب السلطنة المملوكية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م.
محمد محمد أمين :
27. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر،(648- 923هـ / 1250-1517م)، دراسة تاريخية وثائقية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م.
محمود رزق سليم :
28. موسوعة عصر سلاطين المماليك، ط2، المطبعة النموذجية، القاهرة، 1962م.
محمود سعيد عمران:
29. المغول والأوربيون والصليبيون وقضية القدس،الاسكندرية 2009م.
نبيلة مقامى:
30. فرق الرهبان الفرسان فى بلاد الشام، القاهرة، 1994.
وفاء محمد علي:
31. جهود المماليك الحربية ضد الصليبيين والمغول، المكتبة العلمية، القاهرة، الطبعة الأولي، 1406هـ / 1985 م.

المصادر والمراجع المعربة:

مارينو سانودو:
1. كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب فى استرجاع الأراضى المقدسة والحفاظ عليها، ترجمة : الأب سليم رزق الله، دار الريحانى للطباعة والنشر، القاهرة، 1991.
مؤلف مجهول:
2. تتمة كتاب وليم الصورى المنسوب خطأ لروثلان 1229-1261م، ترجمة أسامة زيد، طنطا 2001.
الهمذاني: (رشيد الدين فضل الله الهمذاني) ت 718هـ/1317م.
3. تاريخ المغول، ترجمة فؤاد عبد المعطي الصياد وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1960م

الدراسات والبحوث العربية والمجلات :

أحمد عبد السلام ناصف :

1-أغراض السفارات إلى مصر في العصر المملوكي" القوى الإسلامية والمغول أنموذجاً " (648 – 923 هـ / 1250 – 1517 م) بحث منشور بمجلة الإستواء الصادرة عن جامعة قناة السويس ومركز البحوث والدراسات الأندونسية فى عددها الخاص يوليو 2017، وهو ضمن أعمال المؤتمر الدولى الرابع لدراسات التراث الشعبى بجامعة قناة السويس.

فايز نجيب إسكندر:

2. الأشرف خليل بن قلاوون وفتح قلعة الروم 16يونيو 1292م/11رجب 691ه،بحث منشور ضمن كتاب دراسات فى تاريخ العصور الوسطى،مكتبة الأنجلومصرية2003م.

3. المشرق الاسلامى فى مواجهة تحالف المغول والأرمن،مجلة الثقافة اليمنية، العدد 19.

ليلى عبدالجواد إسماعيل :

4. أتابك العساكر في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد10، 1993م.

5. نائب السلطنة المملوكية، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، القاهرة، عدد1، يناير، 1988م.

الرسائل الجامعية :-

إيمان عطاطة:

1. دور نساء البلاط في مصر في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2015م.

السيد صبري السباعي :

2. سياسة سلاطين المماليك تجاه الطبقات الشعبية (648-923ه / 1205-1517م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2019.

كاظم أمير:

3. الصراع المملوكى الايلخانى على بلاد الشام،،رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق 2017..

:محمد على الشيحى:

4. مشاريع دعاة الحروب الصليبية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة صنعاء،2011.

المصادر و المراجع الأجنبية :-

Adalian,P.R., historical dictionary of Armenia,Toronto,2010.

Brand,W., Pierre Dubois modern or medieval, AHR, Vol. 35 , 1935.

Chein, S., The West and the crusade, attitude and attempts 1291- 1312 Cambridge, 1979.

:**Christiansen**, E.,Th Northern Crusades the Baltic and the Catholic Frontier 1100-1525 Minneapolis, 1980.

Chronicle of the bury st.Edmunds 1212-1301,edited with introduction and translation by Antonia.G.

Edbury, P., The Kingdom of Cyprus and Crusades, 1191 – 1374,Cambridge, 1991.

Finalay,G.,the history of Greece and empire of Trabizond 1204-1261,Edinburgh,1978.

Grousset: L'empire de steppes Attila,Gengis khan, paris, 1984.

Het'um, The flower of histories of the east ,trans by bedrosian,R.,Newjersy,2004.

Horac,M.,lives of the popes in the middle ages, London,1931.

Julian,M.,Les secrets des rois de France,Paris.2004

John,A.,The mongol world empire ,London,1995

Leopold,A., How to Recover the holy land, the crusade proposals of the late thirteen and early fourteenth centuries Burlington, 2000.

Lizarnd,G.,le doissier de l affaire des templiers,Paris,1923,

Lodge,R.,the close of the middle ages,London,1923,p.56.

Luttrel, A., The Hospiltallers in cyprus after 1291 ,London, 1978,

Rayan,J.,international of the oriental mission and crusade activites of the papacy under Nicholas IV1288-1292,Newyork,1972.

Thorau, p., The Batle of Ayn galut, aReex amined, Crusade and Settlement Cardiff, 1985.